

زاد المسير في علم التفسير
ابن الجوزي
سورة يونس

فصل في نزولها

روى عطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وعكرمة وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: { وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ } يونس: 40 وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ } يونس: 94 إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وقال مقاتل: هي مكية، غير آيتين، قوله: { فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ } والتي تليها. يونس: 94، 95 وقال بعضهم: هي مكية إلا آيتين، وهي قوله: { قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ } والتي تليها. يونس: 58/59.

فأما قوله: { الر } قرأ ابن كثير: { الر } بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «الر» على الهجاء مكسورة. وقد ذكرنا في أول سورة { البقرة } ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خصت هذه الكلمة بستة أقوال. أحدها: أن معناها: أنا الله أرى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنا الله الرحمن، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه بعض اسم من أسماء الله. روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الر» و«حم» و«نون» حروف الرحمن. والرابع: أنه قسم أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه اسم للسورة، قاله ابن زيد. وفي قوله: { تِلْكَ } قولان. أحدهما: أنه بمعنى «هذه» قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة. والثاني: أنه على أصله. ثم فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، قاله مجاهد، وقتادة؛ فيكون المعنى: هذه الأقسام التي تسمعونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل. والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن، قاله الزجاج. والثالث: أن «تلك» إشارة إلى «الر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتحة بها السور هي { لِكِتَابٍ لِّحَكِيمٍ } لأن الكتاب بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع، ذكره ابن الأنباري. قال أبو عبيدة: { لِّحَكِيمٍ } بمعنى المحكم المبين الموضح؛ والعرب قد تضع فعلا في معنى مفعول؛ قال الله تعالى: { رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق 18، 23] أي: معد.

{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْتَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ لَكُفِّرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ* إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ سَبَّوْا عَلَيَّ لِعَرْشِي يُدَبَّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَعِبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ }

قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا} سبب نزولها: أن الله تعالى لما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، فنزلت هذه الآية. والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة، والمراد بالرجل: محمد صلى الله عليه وسلم. ومعنى {مِنْهُمْ}: يعرفون نسبه، قاله ابن عباس، فأما الألف فهي للتوبيخ والإنكار. قال ابن الأنباري: والاحتجاج عليهم في كونهم عجبوا من إرسال محمد، محذوف هاهنا وهو مبين في قوله: {تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ} [الزخرف 32] أي: فكما وضح لكم هذا التفاضل بالمشاهدة، فلا تنكروا تفضيل الله من شاء بالنبوة؛ وإنما حذفه هاهنا اعتماداً على ما بينه في موضع آخر. قال: وقيل: إنما عجبوا من ذكر البعث والنشور، لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما، فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك، مثل قوله: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم 27] وقوله: {يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} [يس 79].

وفي المراد بقوله: {قَدَمٌ صِدْقٍ} سبعة أقوال. أحدها: أنه الثواب الحسن بما قدموا من أعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه أبو صالح قال: عمل صالح يقدمون عليه. والثاني: أنه ما سبق لهم من السعادة في الذكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: سابقة صدق. والثالث: شفيع صدق، وهو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم يوم القيامة، قاله الحسن.

والرابع: سلف صدق تقدموهم بالإيمان، قاله مجاهد، وقتادة. والخامس: مقام صدق لا زوال، عنه قاله عطاء. والسادس: أن قدم الصدق: المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والسابع: أن القدم هاهنا: مصيبة المسلمين بنبيهم صلى الله عليه وسلم وما يلحقهم من ثواب الله عند أسفهم على فقدته ومحبتهم لمشاهدته، ذكره ابن الأنباري.

فإن قيل: لم أثر القدم هاهنا على اليد، والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان؟

فالجواب: أن القدم ذكرت ها هنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقدم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخر، قال ذو الرمة:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمت على البحر

فإن قيل: ما وجه إضافة القدم إلى الصدق؟

فالجواب: أن ذلك مدح للقدم، وكل شيء أضفته إلى الصدق، فقد مدحته؛ ومثله: {أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} وقوله: {فِي مَفْعَدِ صِدْقٍ} وفي الكلام محذوف، تقديره: أوجينا إلى رجل منهم، فلما اتاهم الوحي {قَالَ لِكْفِرُونَ إِنَّ هَذَا * لَسِحْرٌ مُّبِينٌ} قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «لسحار» بألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لسحر» بغير ألف. قال أبو علي: قد تقدم قوله: {أَنْ أَوْحَيْتَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُم} فمن قال: ساحر، أراد الرجل؛ ومن قال: سحر، أراد الذي أوحى، سحر، أي: الذي تقولون أنتم فيه: إنه وحي، سحر. قال الزجاج: لما أنذرهم بالبعث والنشور، فقالوا: هذا سحر، أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله: {إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ} وقد سبق تفسيره في {الْأَعْرَافِ}. قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} قال مجاهد: يقضيه. وقال غيره: يأمر به ويمضيه. قوله تعالى: {مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} فيه قولان.

أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس. قال الزجاج: لم يجر للشفيع ذكر قبل هذا، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا. والثاني: أن المعنى: لا ثاني معه، مأخوذ من الشفع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء. فقوله: {إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} أي: من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: {فَوَعْبُدُوهُ} قال مقاتل: وحدوه. وقال الزجاج: المعنى: فاعبدوه

وحده. وقوله: {تَذَكَّرُونَ} معناه: تتعظون. {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}

قوله تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} أي: مصيركم يوم القيامة {وَعَدَّ اللَّهُ حَقّاً} قال الزجاج: «وعد الله» منصوب على معنى: وعدكم الله وعدا، لأن قوله: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ} معناه: الوعد بالرجوع، و«حقا» منصوب على: أحق ذلك حقا.

قوله تعالى: {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ} قرأه الأكثرون بكسر الألف. وقرأت عائشة، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو العالية، والأعمش: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فعلى الاستئناف، ومن فتح، فالمعنى: إليه مرجعكم، لأنه يبدأ الخلق. قال مقاتل: يبدأ الخلق ولم يكن شيئاً، ثم يعيده بعد الموت. وأما القسط، فهو العدل.

فإن قيل: كيف خص جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً؟

فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل جار فهو حميم.

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*} إن في خَلْفِ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* إن الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَطَمَأْنَنُوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* إن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ* دَعُوهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ لِحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً} قرأ الأكثرون: «ضياء» بهمزة واحدة. وقرأ ابن كثير: «ضياء» بهمزتين في كل القرآن، أي ذات ضياء. {وَ الْقَمَرَ نُورًا} أي: ذات نور. {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ} أي: قدر له، فحذف الجار، والمعنى: هياً ويسر له منازل. قال الزجاج: ألهاء ترجع إلى «القمر» لأنه المقدر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً. وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأن به تعلم الشهور. وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكفي بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ} [التوبة 62] قال ابن قتيبة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر إلى ثمانين وعشرين ليلة، ثم يستسر. وهذه المنازل، هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسمائها عندهم: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم،

والبلدة، وسعد، الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو، المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والرشاء وهو الحوت.

قوله تعالى: { مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِحَقِّ } أي: للحق، من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته. { يُفَصِّلُ الْآيَاتِ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «يفصل» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نفسل الآيات» بالنون، والمعنى: نبينها. { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } يستدلون بالأمارات على قدرته.

قوله تعالى: { لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ } فيه قولان. أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: عقوبة الله. فيكون المعنى: إن الآيات لمن لم يحمله هواه على خلاف ما وضع له من الحق.

قوله تعالى: { لَا يَزُجُونَّ لِقَاءَنَا } قال ابن عباس: لا يخافون البعث. { وَرَضُوا بِلِحَيَاةِ الدُّنْيَا } اختاروا ما فيها على الآخرة. { وَطَمَأْنُونَهَا } أثروها. وقال غيره: ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. { وَلِذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } فيها قولان.

أحدهما: أنها آيات القرآن ومحمد، قاله ابن عباس. والثاني: ما ذكره في أول السورة من صنعه، قاله مقاتل. فأما قوله: { غَافِلُونَ } فقال ابن عباس: مكذبون. وقال غيره: معرضون. قال ابن زيد: وهؤلاء هم الكفار.

قوله تعالى: { بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } قال مقاتل: من الكفر والتكذيب. قوله تعالى: { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } فيه أربعة أقوال. أحدها: يهديهم إلى الجنة ثوابا بإيمانهم. والثاني: يجعل لهم نورا يمشون به بإيمانهم. والثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. والرابع: يشبههم بإيمانهم. فأما الهداية، فقد سبقت لهم. قوله تعالى: { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ } أي: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو.

قوله تعالى: { دَعَاؤُهُمْ فِيهَا } أي: دعاؤهم. وقد شرحنا ذلك في أول { الْأَعْرَافِ }.

وفي المراد بهذا الدعاء قولان.

أحدهما: أنه استدعائهم ما يشتهون. قال ابن عباس: كلما اشتهى أهل الجنة شيئا قالوا: { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } فيأتيهم ما يشتهون، فإذا طعموا، قالوا: { لِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فذلك آخر دعواهم. وقال ابن جريج: إذا مر بهم الطير يشتهونه، قالوا: { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيسلم عليهم،

فيردون عليه: فذلك قوله: { وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } . فإذا أكلوا، حمدوا ربهم، فذلك قوله: { دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } .
والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعو به، قالوا: { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } ، قاله قتادة.
قوله تعالى: { وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ } فيه ثلاثة أقوال أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض، وتحية الملائكة لهم، قاله ابن عباس. والثاني: أن الله تعالى يحييهم بالسلام. والثالث: أن التحية: الملك، فالمعنى: ملكهم فيها سالم، ذكرهما الماوردي.
قوله تعالى: { وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ } أي: دعاؤهم وقولهم: { أَنْ لِحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قرأ أبو مجلز، وعكرمة، ومجاهد، وابن يعمر، وقتادة، ويعقوب: «أن الحمد لله» بتشديد النون ونصب الدال. قال الزجاج: أعلم الله أنهم يتدؤون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه، وقال ابن كيسان: يفتتحون كلامهم بالتوحيد، ويختمونه بالتوحيد.
{ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ سَتِعَجَّلَهُمْ } لَخَيْرٍ لَقَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }
قوله تعالى: { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ } ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: { اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ } [الأنفال 8] والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته وفي المراد بالآية قولان.
أحدهما: ولو يعجل الله للناس الشر إذا دعوا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم، واستعجلوا به، كما يعجل لهم الخير، لهلكوا، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة، حكاه الماوردي. ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها. وقد قرأ الجمهور: «لقضي» إليهم بضم القاف «أجلهم» بضم اللام. وقرأ ابن عامر: «لقضى» بفتح القاف «أجلهم» بنصب اللام. وقد ذكرنا في أول { سُورَةُ * لِبَقَرَةٍ } معنى الطغيان والعمه.
{ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَنِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَان لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }
قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ } اختلفوا فيمن نزلت على قولين. أحدهما: أنها نزلت في أبي حذيفة، واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة،

والوليد بن المغيرة، قاله عطاء. و «الضر» الجهد والشدة. واللام في قوله: {لَجْنِيهِ} بمعنى «على» وفي معنى الآية قولان. أحدهما: إذا مسه الضر دعا على جنبه، أو دعا قاعدا، أو دعا قائما، قاله ابن عباس. والثاني: إذا مسه الضر في هذه الأحوال، دعا ذكره الماوردي.

قوله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ} فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مر في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى، ولم يتعظ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مر طاغيا على ترك الشكر.

قوله تعالى: {كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا} قال الزجاج: «كأن» هذه مخفة من الثقيلة، المعنى: كأنه لم يدعنا، قالت الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

قوله تعالى: {كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ} المعنى: كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرخاء، كذلك زين للمسرفين، وهم المجاوزون الحد في الكفر والمعصية عملهم.

{وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا لِقُرُونَ مِنَ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي لِقَوْمٍ لَّمْجْرِمِينَ}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا لِقُرُونَ مِنَ قَبْلِكُمْ} قال مقاتل: هذا تخويف لكفار مكة. والظلم هاهنا بمعنى الشرك. وفي قوله: {وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} قولان. أحدهما: أنه عائد على أهل مكة، قاله مقاتل. والثاني: على القرون المتقدمة، قاله أبو سليمان. قال ابن الأنباري: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعادتهم الحق وإيثارهم الباطل. وقال الزجاج: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَجْزِي} أي: نعاقب ونهلك {لِقَوْمٍ لَّمْجْرِمِينَ} يعني المشركين من قومك.

{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}

قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ} قال ابن عباس: جعلناكم يا أمة محمد خلائف، أي: استخلفناكم في الأرض. وقال قتادة: ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار.

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بُرْءُؤُنَا أَوْ يَسْتَعْزِمُ أَن يُوعَىٰ إِلَيْهِمْ أَوْ يُغَنَّبُ عَنْهُمْ وَيَسْتَمِئُونَ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ أَن يَفْتَنُوا الْوَعْدَ لَنَنْصُرَهُمْ لِنَفِيعِ إِنَّهُم مُّعْتَدُونَ} هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ إِلَّا أَنْ أَبَدَّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ تَفْسِيرٍ إِنْ أَبِغِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِنْ أَحَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ

قوله تعالى: { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا } اختلفوا فيمن نزلت على قولين. أحدهما: أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة، قاله مجاهد، وقتادة. والمراد بالآيات: القرآن. و«يرجون» بمعنى: يخافون. وفي علة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان. أحدهما: أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة، وآية الرحمة بالعذاب، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور، لأنهم لا يؤمنون به، وكرهوا عيب آلهتهم، فطلبوا ما يخلوا من ذلك، قاله الزجاج. والفرق بين تبديله والإتيان بغيره، أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

قوله تعالى: { مَا يَكُونُ لِي } حرك هذه الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. { مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي } حركها نافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون، والمعنى: من عند نفسي، فالمعنى: أن الذي أتيت به، من عند الله، لا من عندي فأبدله. { إِنِّي أَخَافُ } فتح هذه الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو. { إِنَّ عَصِيَّتُ رَبِّي } أي: في تبديله أو تغييره { عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } يعني في القيامة.

فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بينا في نظيرتها في {الأنعم}. ومقصود الآيتين تهديد المخالفين؛ وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

{ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ هُوَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ }

قوله تعالى: { قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ } يعني القرآن؛ وذلك أنه كان لا ينزله علي، فيأمرني بتلاوته عليكم. { وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ } أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: «ولأدراكم» بلام التوكيد من غير ألف بعدها، يجعلها لاما دخلت على «أدراكم» وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أدراكم» بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبله، وشيبة بن نصاح: «ولا أدراكم» بقاء بين الألف والكاف. { فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا } وقرأ الحسن، والأعمش: «عمرًا» بسكون الميم. قال أبو عبيدة: وفي العمر ثلاث لغات: عمر، وعمر، وعمر. قال ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } أنه ليس من قبلي. { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ هُوَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ }

{ اللَّهُ كَذِبًا } يريد: إني لم أفر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً والمجرمون هاهنا: المشركون.
{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبَعُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }

قوله تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ * مَا لَا يَضُرُّهُمْ } أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه، قاله مقاتل، والزجاج.
قوله تعالى: { وَيَقُولُونَ } يعني المشركين. { هَؤُلَاءِ } يعنون الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كناية على لفظ كناية الأدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في { الْأَعْرَافِ } عند قوله: { وَهُمْ يُخَلِّفُونَ } وفي قوله: { شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } قولان. أحدهما: شفاعونا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: شفاعونا في إصلاح معاشنا في الدنيا، لأنهم لا يقرون بالبعث، قاله الحسن.

قوله تعالى: { قُلْ أَتُتَّبَعُونَ اللَّهُ لَمْ يَعْلَمْ } قال الضحاك: أتخبرون الله أن له شريكاً، ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.
{ وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَ خْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }
قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَ خْتَلَفُوا } قد شرحنا هذا في سورة { البقرة 213 } وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين، فاختلَفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.
قوله تعالى: { وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ } فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم، لقضي بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدين.

والثاني: أن الكلمة: أن لكل أمة أجلاً، وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته.
والثالث: أن الكلمة: أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه.
وفي قوله: { لقضيينهم } قولان. أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة.
والثاني: بنزول العذاب على المكذبين.
{ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا لُغَيْبُ اللَّهِ وَ أُنزِلُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّن لُّمُنْتَظِرِينَ }

قوله تعالى: { يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ } يعني المشركين { لَوْلَا } أي: هلا { أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ } مثل العصا واليد وآيات الأنبياء. { فَقُلْ إِنَّمَا لُغَيْبُ اللَّهِ }

فيه قولان. أحدهما: أن سؤالكم: لم لم تنزل الآية؟ غيب، ولا يعلم علة امتناعها إلا الله.

والثاني: أن نزول الآية متى يكون؟ غيب، ولا يعلمه إلى الله.

قوله تعالى: {فَأَنْتَظِرُوا} فيه قولان. أحدهما: انتظروا نزول الآية. والثاني:

قضاء الله بيننا باظهار المحق على المبطل.

{وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ صِرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ}

قوله تعالى: {وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً} سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه

وسلم لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين، أتاه أبو سفيان،

فقال: ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدقناك، فدعا لهم، فسقوا ولم يؤمنوا،

ذكره الماوردي. قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا: الكفار. وفي المراد

بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال.

أحدها: أن الرحمة: العافية والسرور، والضراء: الفقر والبلاء، قاله ابن عباس.

والثاني: الرحمة: الإسلام، والضراء: الكفر، وهذا في حق المنافقين، قاله

الحسن.

والثالث: الرحمة: الخصب، والضراء: الجدب، قاله الضحاك.

وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال.

أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد، ومقاتل.

والثاني: أنه الجحود والرد، قاله أبو عبيدة.

والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله، فيقولون: سقينا بنوء كذا، قاله مقاتل

بن حيان.

والرابع: أن المكر: الإنفاق، لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا} أي: جزاء على المكر. {إِنَّ رُسُلَنَا}

يعني الحفظة {يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} أي: يحفظون ذلك لمجازاتكم عليه. وقرأ

يعقوب إلا رويسا وأبا حاتم، وأبان عن عاصم: «يمكرون» بالياء.

{هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ يَرْيحُ

طَيْبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ لَمَوْجٌ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

أَحْيَطَ بِهِمْ دَعَاؤُا إِلَهَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بَغِيْرَ لِحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا

بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ}

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ} أي: الله الذي هو أسرع مكرًا، هو الذي يسيركم {فِي لَبْرٍ} على الدواب، وفي البحر على السفن، فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر، وهو في المعنى مثل قوله: {وَبَتَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا} [النساء 2] والفلك: السفن. قال الفراء: الفلك تذكر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعًا، قال تعالى هاهنا: {جَاءَتْهَا} فأنث، وقال في {يس} {فِي لُفْلُكٍ لِمَشْحُونٍ} فذكر.

قوله تعالى: {وَجَزَيْنَ بِهِمْ} عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم. قال الزجاج: كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز أن يرده إلى الغائب، قال الشاعر:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم
قوله تعالى: {بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} أي: لينة. {وَفَرِحُوا بِهَا} {لِلنِّهَا}. {جَاءَتْهَا} يعني الفلك. قال الفراء: وإن شئت جعلتها للريح، كأنك قلت: جاءت الريح الطيبة ريح عاصف، والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد عصفت الريح وأعصفت، والألف لغة لبني أسد. قال ابن عباس: الريح العاصف: الشديدة. قال الزجاج: يقال: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، وأعصفت، فهي معصف ومعصفة. {وَجَاءَهُمْ لَمَوْجٌ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} أي: من كل أمكنة الموج.
قوله تعالى: {وَوَطَّنُوا} فيه قولان. أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه التوهم. وفي قوله: {أَحِيطَ بِهِمْ} قولان. أحدهما: دنوا من الهلكة.

قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببلد فقد دنا أهله من الهلكة. وقال الزجاج: يقال لكل من وقع في بلاء: قد أحيط بفلان، أي: أحاط به البلاء. والثاني: أحاطت بهم الملائكة، ذكره الزجاج.
قوله تعالى: {دَعَاؤُا آلِهَةٍ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} دون أوثانهم. قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا: {لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ} الريح العاصف {لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} أي: الموحدين.
قوله تعالى: {يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ} البغي: الترامي في الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى فساد. قال ابن عباس: يبغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد.
{يَأْتِيهَا النَّاسُ} يعني أهل مكة. {إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أي: جناية مظالمكم بينكم على أنفسكم. وقال الزجاج: عملكم بالظلم عليكم يرجع.

قوله تعالى: { مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وحفص، وأبان عن عاصم: «متاع الحياة الدنيا» بنصب المتاع. قال الزجاج: من رفع المتاع، فالمعنى أن ما تنالونه بهذا البغي إنما تنتفعون به في الدنيا، ومن نصب المتاع، فعلى المصدر. فالمعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا. وقرأ أبو المتوكل، واليزيدي في اختياره، وهارون العتكي عن عاصم: «متاع الحياة» بكسر العين. قال ابن عباس: «متاع الحياة الدنيا» أي: منفعة في الدنيا.

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَوَ حَتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَزَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

قوله تعالى: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ } هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبها بمطر نزل من السماء { فَوَ حَتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ } يعني التف النبات بالمطر، وكثر { مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ } من الحبوب وغيرها { وَالْأَنْعَامُ } من المرعى. { حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا } قال ابن قتيبة: زينتها بالنبات. وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنقش والنور والزهر وكل شيء زين: زخرف. وقال الزجاج: الزخرف: كمال حسن الشيء. قوله تعالى: { وَزَيَّنَّتْ } قرأه الجمهور «وازينت» بالتشديد. وقرأ سعد ابن أبي وقاص، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن يعمر: بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي، على وزن: وأفعلت. قال الزجاج: من قرأ «وازينت» بالتشديد، فالمعنى: وتزينت، فادغمت التاء في الزاي وأسكنت الزاي، فاجتلبت لها ألف الوصل؛ ومن قرأ «وازينت» بالتخفيف على أفعلت، فالمعنى: جاءت بالزينة. وقرأ أبي، وابن مسعود: «وتزينت».

قوله تعالى: { وَظَنَّ أَهْلِهَا } أي: أيقن أهل الأرض { أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا } أي: على ما انبنته، فأخبر عن الأرض، وإليراد النبات، لأن المعنى مفهوم. { أَتَاهَا أَمْرًا } أي: فضاءنا باهلاكها { فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا } أي: محصودا لا شيء فيها. والحصيد: المقطوع المستأصل. { كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ } قال الزجاج: لم تعمر. والمغاني: المنازل التي يعمرها الناس بالنزول فيها. يقال: غنينا بالمكان: إذا نزلوا به. وقرأ الحسن: «كأن لم يغن» بالياء، يعني الحصيد. قال بعض المفسرين: تأويل الآية أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب، حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه، وظن أنه ممتع بذلك، سلب عنه بموته، أو بحادثة تهلكه، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات

وكثرت، فإذا تزينت به الأرض، ووطن الناس أنهم مستمتعون بذلك، أهلكه الله، فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

{وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ} يعني الجنة. وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الأنعام: 127] واعلم. أن الله عم بالدعوة، وخص الهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه. وفي المراد بالصراط المستقيم أربعة أقوال.

أحدها: كتاب الله، رواه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: الإسلام، رواه النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم. والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقتادة.

والرابع: المخرج من الضلالات والشبه، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسنى: كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخلة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهتها، يدل على هذا قول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال أي: إلى الأمر
المحبوب. وهصرت بمعنى مددت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة
للكلام، كما تقول العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده.
والشماريخ كناية عن الذوائب. ورضت، معناها: أذلت. ومن أجل هذا قال: أي
إذلال، ولم يقل: أي رياضة.

وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال.

أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وبه قال
الأكثر.

والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس.

والثالث: النصر، قاله عبد الرحمن بن سابط.

والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. والخامس: الأمنية، ذكره ابن
الأنباري. وفي الزيادة ستة أقوال.

أحدها: أنها النظر إلى الله عز وجل. روي مسلم في صحيحة من حديث صهيب
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل» وبهذا القول قال أبو بكر الصديق،
وأبو موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبد
الرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل.
والثاني: أن الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، رواه الحكم عن
علي، ولا يصح.
والثالث: أن الزيادة: مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها. قاله ابن عباس،
والحسن.
والرابع: أن الزيادة: مغفرة روضوان، قاله مجاهد.
والخامس: أن الزيادة: أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة،
قاله ابن زيد.
والسادس: أن الزيادة: ما يشتهونه، ذكره الماوردي.
قوله تعالى: {وَلَا يَزْهَقُ} أي: لا يغشى {وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ} وقرأ الحسن،
وقتادة، والأعمش: «قتر» باسكان التاء، وفيه أربعة أقوال.
أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس: سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج:
القتر: الغبرة التي معها سواد.
والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء.
والثالث: الخزي، قاله مجاهد.
والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة.
وفي الذلة قولان.
أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس.
والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان.
{وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ
عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ}

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ} قال ابن عباس: عملوا الشرك.
{جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} في الآية محذوف، وفي تقديره قولان:
أحدهما: أن فيها إضمار «لهم» المعنى: لهم جزاء سيئة بمثلها، وأنشد ثعلب:
فإن سأل الواشون عنه فقل لهم وذلك عطاء للوشاة جزيل

لملم بليلى لمة ثم إنه لهاجر ليلي بعدها فمطيل

أراد: هو ملم، وهذا قول الفراء.

والثاني: أن فيها إضمار «منهم» المعنى: جزاء سيئة منهم بمثلها، تقول العرب: رأيت القوم صائم وقائم، أي: منهم صائم وقائم، أنشد الفراء: حتى إذا ما أضاء الصبح في غلسي وغودر البقل ملوي ومحصول أي: منه ملوي، وهذا قول ابن الأنباري. وقال بعضهم: الباء زائدة هاهنا، و«من» في قوله: { مِنْ عَاصِمٍ } صلة، والعاصم: المانع. { كَأَنَّمَا أُعْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ } أي: ألبست { قِطْعًا } قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة: «قطعا» مفتوحة الطاء، وهي جمع قطعة. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: «قطعا» بتسكين الطاء، قال ابن قتيبة: وهو اسم ما قطع. قال ابن جرير: وإنما قال: «مظلما» ولم يقل: «مظلمة» لأن المعنى: قطعا من الليل المظلم، ثم حذفت الألف واللام من «المظلم» فلما صار نكرة، وهو من نعت الليل، نصب على القطع؛ وقوم يسمون ما كان كذلك حالا، وقوم قطعا. { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَشُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ }

قوله تعالى: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا } قال ابن عباس: يجمع الكفار واليهتهم. { ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ } أي: ألهمتكم. قال الزجاج: «مكانكم» منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، أي: انتظر مكانك، فهي كلمة جرت على الوعيد.

قوله تعالى: { فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ } وقرأ ابن أبي عبلة: «فزائلنا» بألف، قال ابن عباس: فرقنا بينهم وبين ألهمتكم. وقال ابن قتيبة: هو من زال يزول وأزلته. وقال ابن جرير: إنما قال «فزائلنا» ولم يقل: «فزائلنا» لا راده تكرير الفعل وتكثيره.

فإن قيل: «كيف تقع الفرقة بينهم وهم معهم في النار، لقوله: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ } [الأنبياء: 98] فالجواب: أن الفرقة وقعت بتبيري كل معبود ممن عبده، وهو قوله: { وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ }، قال ابن عباس: ألهمتكم، ينطق الله الأوثان، فتقول: { كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ } أي: لا نعلم بعبادتكم لنا، لأنه ما كان فينا روح، فيقول العابدون: بلي قد عبدناكم، فتقول الآلهة: { فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ } لا نعلم بها. قال الزجاج: { أَنْ كُنَّا } معناه: ما كنا إلا غافلين. فإن قيل: ما وجه دخول الباء في قوله: { فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنها دخلت للمبالغة في المدح كما قالوا: أظرف بعبد الله، وأنبل بعبد الرحمن، وناهيك بأخينا، وحسبك بصديقنا، هذا قول الفراء وأصحابه.
والثاني: أنها دخلت توكيدا للكلام، إذ سقوطها ممكن، كما يقال: خذ بالخطام، وخذ الخطام، قاله ابن الأنباري.
{ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُوِيَ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ لِحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

قوله تعالى: { هُنَالِكَ تَبْلُوا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «تبلو» بالباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وزيد عن يعقوب: «تتلو» بالتاء قال الزجاج: «هنالك» ظرف والمعنى في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو، إلا أنه غير متمكن، والام زائدة، والأصل: هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة. و«تبلو» تختبر، أي: تعلم. ومن قرأ «تتلو» بتاءين، فقد فسرها الأخفش وغيره: تتلو من التلاوة، أي: تقرأ. وفسروه أيضا: تتبع كل نفس ما أسلفت. ومثله قول الشاعر:
قد جعلت دلوي تستليني ولا أريد تبع القرين

أي: تستتبعني، أي: من ثقلها تستدعي اتباعي إياها.
قوله تعالى: { وَرُودُوا } أي: في الآخرة { إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ لِحَقِّ } الذي يملك أمرهم حقا، لا من جعلوا معه من الشركاء. { وَصَلَّ عَنْهُمْ } أي: زال وبطل { مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } من الآلهة.
{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ }

قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ } المطر، ومن الأرض النبات، { أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ } أي: خلق السمع والأبصار. وقد سبق معنى إخراج الحي من الميت، والميت من الحي [آل عمران: 27]
قوله تعالى: { وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ } أي: أمر الدنيا والآخرة { فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ } لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله، فكان في ذلك دليل توحيده.
وفي قوله: { أَفَلَا تَتَّقُونَ } قولان.

أحدهما: أفلا تتعظون، قاله ابن عباس.
والثاني: تتقون الشرك، قاله مقاتل.
{ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لِحَقِّ فَمَاذَا بَعَدَ لِحَقِّ إِلَّا الصَّلَاةُ فَآتَىٰ تُصْرَفُونَ }

قوله تعالى: { قَدَلِكُمْ أَلَلُّ رَبُّكُمْ لِحَقُّ } قال الخطابي: الحق هو المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه، فهو حق.

قوله تعالى: { قَائِي تُصْرَفُونَ } قال ابن عباس: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيى ولا يميت.

{ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ أَلَلُّ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قَائِي تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ أَلَلُّ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }

قوله تعالى: { كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ } قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كلمة ربك» وفي آخر السورة كذلك. وقرأ نافع، وابن عامر. الحرفين «كلمات» على الجمع.

قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، أي: مثل أفعالهم جازاهم ربك، والمعنى: حق عليهم أنهم لا يؤمنون، وقوله: { أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } بدل من { وَأَوْرَثْنَا لِقَوْمَ }. وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب.

وذكر ابن الأنباري في { كَذَلِكَ } قولين.

أحدهما: أنها إشارة إلى مصدر «تصرفون»، والمعنى: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك.

والثاني: أنه بمعنى هكذا.

وفي معنى «حقت» قولان.

أحدهما: وجبت.

والثاني: سبقت.

وفي كلمته قولان.

أحدهما: أنها بمعنى وعده.

والثاني: بمعنى قضائه. ومن قرأ «كلمات» جعل كل واحدة من الكلم التي

توعدوا بها كلمة. وقد شرجنا معنى الكلمة في { الْأَعْرَافِ }

قوله تعالى: { لِحَقِّ قُلْ أَلَلُّ يَهْدِي لِلْحَقِّ } أي: إلى الحق.

قوله تعالى: { أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي } قرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع:

«يهدي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: الأصل يهتدي، فأدغمت

التاء في الدال، فطرحت فتحها على الهاء. وقرأ نافع إلي ورشا، وأبو عمرو:

«يهدي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يشم

الهاء شيئاً من الفتح. وقرأ حمزة، والكسائي: «يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء

وتخفيف الدال. قال أبو علي: والمعنى: لا يهدي غيره إلا أن يهدي هو، ولو هدي الصم لم يهتد، ولكن لما جعلوها كمن يعقل، أجريت مجراه. وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم:

«يهدي» بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك روى أبان وجبله عن المفضل وعبد الوارث، قال الزجاج: أتبعوا الكسرة، الكسرة وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء وروى حفص عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر عنه: «يهدي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء إلا أن الهاء، كسرت لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن السيميع: «يهدي» بزيادة تاء. والمراد بقوله: {أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي} الصم {إِلَّا أَنْ يُهْدَى} {وَمَا يَهْدِي} {أَي: أتعدون. ما لا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول؟ وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين، والأول أصح.

قوله تعالى: {فَمَا لَكُمْ} قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: {كَيْفَ تَحْكُمُونَ} أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجور؟

{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}

قوله تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ} أي: كلهم {إِلَّا ظَنًّا} أي: ما يستيقنون أنها آلهة، بل يظنون شيئاً فيتبعونه. {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} أي: ليس هو كاليقين، ولا يقوم مقام الحق وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

{وَمَا كَانَ هَذَا لِقُرْءَانٍ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ لِكِتَابٍ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا لِقُرْءَانٍ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ} قال الزجاج: هذا جواب قولهم: {أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ} [يونس: 15] وجواب قولهم:

{ فُتْرَاهُ } [الفرقان: 4] قال الفراء: ومعنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، فجاءت «أن» على معنى ينبغي. وقال ابن الأنباري: يجوز «أن» تكون مع «يفترى» مصدرًا، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراء. ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتنصب «أن» بفقد الخافض في قول الفراء، وتخفص باضمار الخافض في قول الكسائي. وقال ابن قتيبة: معنى { أن يُفْتَرَى } أي: يضاف إلى غير الله، أو يخلق. قوله تعالى: { وَلَكِنْ تَصْدِيقَ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة، قاله ابن عباس. فعلى هذا، إنما قال: { لِّذِي } لأنه يريد الوحي.

والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور، ذكره الزجاج.

والثالث: تصديق النبي صلى الله عليه وسلم الذي بين يدي القرآن، لأنهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوه قبل سماعهم القرآن، ذكره ابن الأنباري:

قوله تعالى: { وَتَفْصِيلَ لِّكِتَابٍ } أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرائض التي فرضها عليهم. { أَمْ يَقُولُونَ فُتْرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَ لَعْنَةُ مَن سَمِعَهُ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

قوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ فُتْرَاهُ } في «أم» قولان. أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عبيدة.

والثاني: بمعنى هل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ } قال الزجاج: المعنى: فأتوا بسورة مثل سورة منه، فذكر المثل لأنه إنما التمس شبه الجنس، { وَ لَعْنَةُ مَن سَمِعَهُ مِّنْ دُونِ اللَّهِ } ممن هو في التكذيب مثلكم إن كنتم صادقين أنه اختلقه. { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ }

قوله تعالى: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ } فيه قولان.

أحدهما: أن المعنى: بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء.

والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به، لأنهم شاكون فيه.

وفي قوله: { وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } قولان.

أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد. والتأويل: ما يؤول إليه الأمر.

والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله، قاله الزجاج.
 قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدو ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل: أين؟ فقال: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين قوله: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} وقوله: {إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} [الأحقاف: 11]
 {وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ} في المشار إليهم قولان. أحدهما: أنهم اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: قريش، قاله مقاتل بن سليمان.

وفي هاء «به» قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم من سيؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر. {وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ} أي: يشك ولا يصدق. قوله تعالى: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} قال عطاء: يريد المكذبين، وهذا تهديد لهم.

{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}

قوله تعالى: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي} الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين. {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال.

أحدها: في يهود المدينة، كانوا يأتون رسول الله ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشقاء، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في المستهزئين، كانوا يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم للاستهزاء والتكذيب، فلم ينتفعوا، فنزلت فيهم هذه الآية، والقولان مرويان عن ابن عباس.

والثالث: أنها نزلت في مشركي قريش، قاله مقاتل. قال الزجاج: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم. {وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ}

أي: ولو كانوا مع ذلك جهالا. وقال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم لأن الصم، لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم. { وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ } قال ابن عباس: يريد: متعجبين منك. { أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَعْمَى } يريد أن الله أعمى قلوبهم فلا يبصرون. وقال الزجاج: منهم من يقبل عليك بالنظر، وهو من بغضه لك وكراهته لما يرى من آياتك كالأعمى. وقال ابن جرير: ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نبوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق. وقال مقاتل: «ولو» في الآيتين بمعنى «إذا».

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْبَاطِلَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْبَاطِلَ شَيْئًا } لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك، لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قوله تعالى: { وَلَكِنَّ النَّاسَ } قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولكن الناس» بتخفيف النون وكسرها، ورفع الإسم بعدها. { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } قوله تعالى: { وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ } وقرأ حمزة: «يحشرهم» بالياء. قال أبو سليمان الدمشقي: هم المشركون.

قوله تعالى: { كَانَ لَمْ يَلْبُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ } فيه قولان. أحدهما: كان لم يلبثوا في قبورهم، قاله ابن عباس. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. قال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة. قوله تعالى: { يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ } قال ابن عباس: إذا بعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاج: وفي معرفة بعضهم بعضا، وعلم بعضهم باضلال بعض، التوبيخ لهم، وإثبات الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبخ بعضهم بعضا، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسبتني دخول النار. قوله تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا } هو من قول الله تعالى، لا من قولهم، والمعنى: خسروا ثواب الجنة إذ كذبوا بالبعث { وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } من الضلالة.

{ وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ لِيذِي تَعِدُّهُمْ أَوْ تَتَوَفِّيكَ قَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }

قوله تعالى: { وَإِمَّا تُرِيكَ بَعْضَ لِيذِي تَعِدُّهُمْ } قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم. { أَوْ تَتَوَفِّيكَ } قبل أن نريك { قَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ } بعد الموت، والمعنى: إن لم تنتقم منهم عاجلاً، انتقمنا أجلاً. قوله تعالى: { ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ } من الكفر والتكذيب. قال الفراء: «ثم» هاهنا عطف، ولو قيل: معناها هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: «ثم» هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبة: «ثم الله شهيد» بفتح الثاء، يراد به: هنالك الله شهيد.

قوله تعالى: { فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم، قضى بينهم بتعجيل الانتقام، منهم قاله الحسن. وقال غيره: إذا جاءهم في الدنيا، حكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية.

والثاني: إذا جاء يوم القيامة، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا جاء شاهداً عليهم. والثالث: إذا جاء في القيامة وقد كذبه في الدنيا، قاله ابن السائب. قوله تعالى: { قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ } فيه قولان. أحدهما: بين الأمة، فأثيب المحسن وعوقب المسيء.

والثاني: بينهم وبين نبيهم.

{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا لَوْعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

قوله تعالى: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا لَوْعْدُ } في القائلين هذا قولان. أحدهما: الأمم المتقدمة، أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله أبو سليمان.

وفي المراد بالوعد قولان.

أحدهما: العذاب قاله ابن عباس.

والثاني: قيام الساعة. { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أنت وأتباعك. { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي صَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَادًّا يَدْعَعِلُ مِنْهُ لِمُجْرِمُونَ * أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَأَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ }

تَسْتَعْجِلُونَ * ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ {

قوله تعالى: { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي صَرًّا } الآية قد ذكرت تفسيرها في آيتين من { الْأَعْرَافِ }.

قوله تعالى: { أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا } قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليلاً. وقوله: { مَاذَا } في موضع رفع من جهتين. إحداهما: أن يكون «ذا» بمعنى الذي، المعنى: مال الذي يستعجل منه المجرمون؟ ويجوز أن يكون «ماذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون؟ والهاء في «منه» تعود على العذاب. وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى؟ وعودها على العذاب أجود، لقوله: { أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ } وذكر بعض المفسرين أن المراد بالمجرمين: المشركون، وكانوا يقولون: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا وقع العذاب آمنوا به؛ فقال الله تعالى موبخاً لهم: { أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ } أي: هنالك تؤمنون فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون؟ فأضمر: تؤمنون به مع { وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ } مستهزئين، وهو قوله: { ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } أي: كفروا، عند نزول العذاب { ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ }، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفضوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم.

{ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ }، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفضوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم. { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ رِيْقُسُطٍ وَهُمْ لَا يُولَعُونَ * إِلَّا إِنْ لِهِيَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم، لأن النار ألتهم عن التصنيع والكتمان. وعلى الأول: كتموها قبل إحراق النار إياهم. وقوله تعالى: {أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} قال ابن عباس: ما وعد أولياءه من الثواب، وأعداءه من العقاب. {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} يعني المشركين {لَا يَعْلَمُونَ

{يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}

قوله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ} قال ابن عباس: يعني قريشا {ق * جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ} يعني القرآن. {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ} أي: دواء لداء الجهل. {وَهُدًى} أي: بيان من الضلالة.

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}

قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ} فيه ثمانية أقوال.

أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وهلال بن يساف. وروي عن الحسن، ومجاهد في بعض الرواية عنهما، وهو اختيار ابن قتيبة.

والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري، والحسن في رواية.

والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد صلى الله عليه وسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر. والخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك، وزيد بن أسلم، وابنه، ومقاتل.

والسادس: أن فضل الله ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، واختاره الزجاج.

والسابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان. والثامن: فضل الله، التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عيينة.

قوله تعالى: {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وقتادة، وأبو العالية، ورويس عن يعقوب: «فلتفرحوا» بالتاء. وقرأ الحسن، ومعاذ القاري، وأبو المتوكل مثل ذلك، إلا أنهم كسروا اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران:

«فبذلك فافرحوا» قال ابن عباس: بذلك الفضل والرحمة. {هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ} أي: مما يجمع الكفار من الأموال. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس: «تجمعون» بالتاء وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله: {بِفَضْلِ اللَّهِ

{ خبر لاسم مضمراً، تأويله: هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته،
فبذلك التطول من الله فليفرحوا.
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآلِلَّهِ أَذِنَ
لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ }
قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ } قال المفسرون: هذا
خطاب لكفار قريش، كانوا يحرمون ما شاؤوا، ويحلون ما شاؤوا و { أَنْزَلَ }
بمعنى خلق. وقد شرحنا بعض مذاهبهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة
والسائبة وغير ذلك في {المائدة 103} و {الأنعام}.
قوله تعالى: { قُلْ لِلَّهِ * أَذِنَ لَكُمْ } أي: في هذا التحليل والتحريم.
{ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ }
قوله تعالى: { وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ } في الكلام محذوف،
تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، { إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ } حين لم يعجل عليهم بالعقوبة { وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ }
تأخير العذاب عنهم.
{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }
قوله تعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ } أي: في عمل من الأعمال، وجمعه:
شؤون. { وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ } في هاء الكناية قولان.
أحدهما: أنها تعود إلى الشأن. قال الزجاج: معنى الآية: أي وقت تكون في
شأن من عبادة الله، وما تلوت من الشأن من قرآن.
والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى: وما تلوت من الله، أي: من نازل
منه من قرآن، ذكره جماعة من العلماء. والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم، وامته داخلون فيه، بدليل قوله: { وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ } قال ابن
الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.
قوله تعالى: { إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } الهاء عائدة على العمل. قال ابن قتيبة:
تفيضون بمعنى تأخذون. فيه وقال الزجاج: تنتشرون فيه، يقال: أفاض القوم
في الحديث: إذا انتشروا فيه وخاصوا. { وَمَا يَعْزُبُ } معناه: وما يبعد. وقال
ابن قتيبة: ما يبعد ولا يغيب. وقرأ الكسائي «يعزب» بكسر الزاي هاهنا وفي
{ سَبَا } وقد بينا «مثقال ذرة» في سورة {النساء}.

قوله تعالى: { وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ } قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما. وقرأ حمزة، وخلف، ويعقوب، برفع الراء فيهما. قال الزجاج: من قرأ بالفتح، فالمعنى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ.

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * {لَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} * لَهُمْ بُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ لِقَاؤُ رَبِّ الْعَظِيمِ {

قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ} روى ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، من أولياء الله؟ قال «الذين إذا رؤوا ذكر الله» وروى عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم أنه قال: إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله عز وجل. قالوا: يا رسول الله، من هم، وما أعمالهم لعلنا نحبهم؟ قال «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس» ثم قرأ {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} .
قوله تعالى: { لَهُمْ بُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له، رواه عبادة ابن الصامت، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت، قاله الضحاك، وقتادة، والزهري. والثالث: أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه، كقوله: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [البقرة 25] { وَأَبَشِّرُوا بِرِجْتِهِ } [فصلت 30] { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ } [التوبة 21] وهذا قول الحسن، واختاره الفراء، والزجاج، واستدلا بقوله: { لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } قال ابن عباس: لا خلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدل الكلمات، لم تبدل المواعيد.

فأما بشرهم في الآخرة، ففيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الجنة، رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، واختاره ابن قتيبة.

والثاني: أنه عند خروج الروح تبشر برضوان الله، قاله ابن عباس.
والثالث: أنها عند الخروج من قبورهم، قاله مقاتل.
{ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ لِعِزَّةَ اللَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }
قوله تعالى: { وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ } قال ابن عباس: تكذيبهم: وقال غيره:
تظاهرهم عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم. وتم الكلام هاهنا. ثم ابتداء فقال:
{ إِنَّ لِعِزَّةَ اللَّهِ جَمِيعاً } أي: الغلبة له، فهو ناصرك وناصر دينك، { هُوَ السَّمِيعُ
{ لِقَوْلِهِمْ } { لِعَلِيمٌ } باضمارهم، فيجازيهم على ذلك.
{ إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }
قوله تعالى: { إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ } قال الزجاج:
«ألا» افتتاح كلام وتنبية أي فالذي هم له، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.
قوله تعالى: { وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ } أي: ما يتبعون
شركاء على الحقيقة، لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم، وليست على ما
يظنون. { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ } في ذلك { وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } قال ابن
عباس: يكذبون. وقال ابن قتيبة: يحدسون ويحزرون.
{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ }
قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ } المعنى: إن ربكم الذي
يجب أن تعتقدوا ربوبيته، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، فيزول تعب
النهار وكلاله بالسكون في الليل، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً تبصرون فيه.
وإنما أضاف الابصار إليه، لأنه قد فهم السامع المقصود، إذ النهار لا يبصر، وإنما
هو ظرف يفعل فيه غيره، كقوله: { عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ } [الحاقة 21] إنما هي
مرضية، وهذا كما يقال: ليل نائم، قال جرير:
لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

قوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } سماع اعتبار، فيعلمون أنه
لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر.
{ قَالُوا لَخَدَّ اللَّهِ وَلَدًا سُيْحَتُهُ هُوَ لِعَيْنِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ
عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنْ لِلَّهِ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ }

قوله تعالى: { قَالُوا لِيَحْذَ اللَّهُ وَلَدًا } قال ابن عباس: يعني أهل مكة، جعلوا الملائكة بنات الله.

قوله تعالى: { سُبْحَانَهُ } تنزيه له عما قالوا. { هُوَ لِعَيْنِي } عن الزوجة والولد. { إِنَّ عِنْدَكُمْ } أي: ما عندكم { مِّنْ سُلْطٰنٍ } أي: حجة بما تقولون.

قوله تعالى: { لَا يُفْلِحُونَ } فيه ثلاثة أقوال. أحدها: لا يبقون في الدنيا.

والثاني: لا يسعدون في العاقبة.

والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف التمام، وقوله { مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا } مرفوع على معنى: ذلك متاع في الدنيا.

{ وَ أُنزِلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ }

قوله تعالى: { وَ أُنزِلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ } فيه دليل على نبوته، حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب، وتحريض على الصبر، وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بالكذب.

قوله تعالى: { إِن كَانَ كَبِيرَ } أي: عظم وشق { عَلَيْكُمْ مَّقَامِي } أي: طول مكثي. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء «مقامي» برفع الميم.

{ وَتَذَكِيرِي } وعظي. { فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } في نصرتي ودفع شركم عني.

{ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ } قرأ الجمهور «فأجمعوا» بالهمز وكسر الميم، من «أجمعت» وروى الأصمعي عن نافع: «فأجمعوا» بفتح الميم، من «جمعت» ومعنى «أجمعوا أمركم» أحكموا أمركم واعزموا عليه. قال المؤرج: «أجمعت الأمر» أفصح من «أجمعت عليه» وأنشد:

يا ليت شعري والمني لا تنفع هل أغدون يوماً وأمري مجمع

فأما رواية الأصمعي، فقال أبو علي: يجوز أن يكون معناها: اجمعوا ذوي الأمر منكم، أي: رؤساءكم. ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم الذي يكيدون به، فيكون كقوله: { فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوًّا صَفًّا } [طه 64].

قوله تعالى: { وَشُرَكَاءَكُمْ } قال الفراء وابن قتيبة: المعنى: وادعوا شركاءكم. وقال الزجاج: الواو هاهنا بمعنى «مع» فالمعنى: مع شركائكم. تقول: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، أي مع فصيلها وقرأ يعقوب «وشركاؤكم» بالرفع.

قوله تعالى: { ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً } فيه قولان.

أحدهما: لا يكن أمركم مكتوما، قاله ابن عباس.

والثاني: غما عليكم، كما تقول: كرب وكربة، قاله ابن قتيبة. وذكر الزجاج القولين. وفي قوله: {ثُمَّ قُضُوا إِلَيَّ} قولان.

أحدهما: ثم أقضوا إلي ما في أنفسكم، قاله مجاهد.

والثاني: افعلوا ما تريدون، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وقال ابن الأنباري:

معناه: اقضوا إلي بمكروهم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى

فلان، يريدون: مات ومضى.

{ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي لُفْلُكٍ وَجَعَلْنَا هُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا لَذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَظُنُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ }

قوله تعالى: { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ } أي: أعرضتم عن الإيمان. { فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ }

أي: لم يكن دعائي إياكم طمعا في أموالكم. قوله تعالى: { إِنْ أَجْرِيَ } حرك

هذه الياء ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: { جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ } أي: جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفا ممن هلك.

{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا

كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ }

قوله تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ } أي: من بعد نوح { رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ } قال

ابن عباس: يريد إبراهيم وهودا و صالحا ولوطا وشعبيا. { مُوسَىٰ بِبَيِّنَاتٍ }

أي: بأن لهم أنهم رسل الله. { فَمَا كَانُوا } أي: أولئك الأقوام { لِيُؤْمِنُوا بِمَا

كَذَّبُوا } يعني الذين قبلهم. والمراد: أن المتأخرين مضوا على سنن

المتقدمين في التكذيب. وقال مقاتل: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من

العذاب من قبل نزوله.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ نَطْبَعُ } أي: كما طبعنا على قلوب أولئك، { كَذَلِكَ نَطْبَعُ

عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ } يعني المتجاوزين ما أمروا به.

{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ }

قوله تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ } يعني الرسل الذين أرسلوا بعد نوح.

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ لَحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا

وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ لِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ *

وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي نَأْتِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ

أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ

سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ لِحَقِّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
لُمُجْرِمُونَ {

قوله تعالى: { قَلَمًا جَاءَهُمْ لِحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا } وهو ما جاء به موسى من الآيات.
قوله تعالى: { أَسْحَرُ هَذَا } قال الزجاج: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم
هذا اللفظ، وهو قولهم: { إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ } ثم قررهم فقال: { أَسْحَرُ هَذَا
{ قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة تفضيع الأمر، كما يقول
الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة. أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها،
وتأتي الرجل جائزة، فيقول: أحق ما أرى؟ معظما لما ورد عليه. وقال غيره:
تقدير الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم: هو سحر؟ أسحر هذا؟ فحذف السحر
الأول اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كقوله: { قَادًا جَاءَ وَعَدُّ الْأَخِرَةِ * قَوْلُوا
وَجُوهَكُمْ } [الإسراء 8] المعنى بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم.
قوله تعالى: { أَجِئْنَا لِنُلْفِتَّنَا } قال ابن قتيبة: لتصرفنا. يقال: لفت فلانا عن
كذا: إذا صرفته. ومنه الالفت، وهو الانصراف عما كنت مقبلا عليه. قوله
تعالى: { وَيَكُونَنَّ لَكُمْ أَلْبَابًا فِي الْأَرْضِ } وروى أبان، وزيد عن يعقوب
{ وَيَكُونَنَّ لَكُمْ } بالياء. وفي المراد بالكبرياء ثلاثة أقوال.

أحدها: الملك والشرف، قاله ابن عباس.
والثاني: الطاعة، قاله الضحاك.

والثالث: العلو، قاله ابن زيد. قال ابن عباس: والأرض هاهنا، أرض مصر.
قوله تعالى: { يَكُلُّ سَجِرًا } قرأ حمزة، والكسائي، وخلف «بكل سحار»
بتشديد الحاء وتأخير الألف.

قوله تعالى: { مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ } قرأ الأكثر «السحر» بغير مد، على لفظ
الخبر، والمعنى: الذي جئتم به من الحبال والعصي، هو السحر، وهذا رد
لقولهم للحق: هذا سحر، فتقديره: الذي جئتم به السحر، فدخلت الألف
واللام، لأن النكرة إذا عادت، عادت معرفة، كما تقول: رايت رجلا، فقال لي
الرجل. وقرأ مجاهد، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وأبان عن عاصم، وأبو حاتم عن
يعقوب «السحر» بمد الألف، استفهاما. قال الزجاج: والمعنى: أي شيء جئتم
به؟ أسحر هو؟ على جهة التوبيخ لهم. وقال ابن الأنباري: هذا الاستفهام معناه
التعظيم للسحر، لا على سبيل الاستفهام عن الشيء الذي يجهل، وذلك مثل
قول الإنسان في الخطأ الذي يستعظمه من إنسان: أخطأ هذا؟ أي: هو عظيم
الشان في الخطأ. والعرب تستفهم عما هو معلوم عندها، قال امرؤ القيس:
أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وقال قيس بن ذريح:
أراجعة يالبن أيا منا الألى بذي الطلح أم لا ما لهن رجوع

فاستفهم وهو يعلم أنهن لا يرجعن.
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَبِيْلُهُ} أي: يهلكه، ويظهر فضيحتكم {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} لا يجعل عملهم نافعا لهم. {وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ} أي: يظهره ويمكنه، {بِكَلِمَاتِهِ} بما سبق من وعده بذلك.
{فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} * وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا طِمَسَتْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَشُدُّدٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتِكُمْ وَ سَلِّقِي مَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِبَحْرٍ فَأَتَيْتَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ يَا إِسْرَائِيلُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَن وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَ لَيُؤْمَ تُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَعٰفِلُونَ }
قوله تعالى: {فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ} في المراد بالذرية هاهنا ثلاثة أقوال.

أحدها: أن المراد بالذرية: القليل، قاله ابن عباس.
والثاني: أنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، مات آباؤهم لطول الزمان، وأمنوا هم، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: هم الذين نشئوا مع موسى حين كف فرعون عن ذبح الغلمان. قال ابن الأنباري: وإنما قيل لهؤلاء «ذرية» لأنهم أولاد الذين بعث إليهم موسى، وإن كانوا بالغين.
والثالث: أنهم قوم، أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، قاله مقاتل، واختاره الفراء. قال: وإنما سموا ذرية كما قيل لأولاد فارس: الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. وفي هاء «قومه» قولان.
أحدهما: أنها تعود إلى موسى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: إلى فرعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس فعلى القول الأول يكون قوله: {عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ} أي: وملاً فرعون. قال الفراء: وإنما قال: «وملائهم» بالجمع، وفرعون، وأحد لأن الملك إذا ذكر ذهب الوهم إليه وإلى من معه، تقول قدم الخليفة فكثر الناس، تريد: بمن معه. وقد يجوز أن يريد بفرعون: آل فرعون، كقوله: {وَ سَأْتِلُ لِقَرْبَةٍ} [يوسف 82] وعلى القول الثاني: يرجع ذكر الملائ إلى الذرية. قال ابن جرير: وهذا أصح، لأنه كان في الذرية من أبوه قبطي وأمه إسرائيلية، فهو مع فرعون علي موسى. قوله تعالى: {أَنْ يَفْتِنَهُمْ} يعني فرعون، ولم يقل: يفتنوهم، لأن قومه كانوا على من كان عليه. وفي هذه الفتنة قولان. أحدهما: أنها القتل، قاله ابن عباس.

والثاني: التعذيب، قاله ابن جرير. قوله تعالى: {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ} قال ابن عباس: متناول في أرض مصر {وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} حين كان عبدا فادعى الربوبية. قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} لما شكوا بنوا إسرائيل إلى موسى ما يهددهم به فرعون من ذبح أولادهم، واستحياء نسائهم، قال لهم هذا. وفي قوله: {لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً} ثلاثة أقوال.

أحدها: لا تهلكننا بعذاب على أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من قبلك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم.

والثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، والقولان مرويان عن مجاهد.

والثالث: لا تسلطهم علينا فيفتنون بنا، لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى، وأبو مجلز.

قوله تعالى: {ءَان * تَبَوَّءُوا لِقَوْمِكُمْ مِمَّا بَمِصْرَ بُيُوتًا} قال المفسرون: لما أرسل موسى، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها، ومنعوا من الصلاة وكانوا لا يصلون إلى في الكنائس، فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفا من فرعون. و «تبوأ» معناه: اتخذوا، وقد شرحناه في {الْأَعْرَافِ} وفي المراد بمصر قولان.

أحدهما: أنه البلد المعروف بمصر، قاله الضحاك. والثاني: أنه الاسكندرية، قاله مجاهد.

وفي البيوت قولان.

أحدهما: أنها المساجد، قاله الضحاك.

والثاني: القصور، قاله مجاهد. وفي قوله: {وَ جَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} أربعة أقوال.

أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهد، وعكرمة، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي، وابن زيد: وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقيل لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة بدلا من المساجد.

والثاني: اجعلوها قبل القبلة، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قبل مكة. وقال مجاهد: أمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة، وبه قال مقاتل، وقتادة، والفراء.

والثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضا، وهو مروى عن ابن عباس، أيضا وبه قال سعيد بن جبير.

والرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر.

فإن قيل: البيوت جمع، فكيف قال «قبلة» على التوحيد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: من قال: المراد بالقبلة الكعبة، قال: وحدت القبلة لتوحيد الكعبة. قال: ويجوز أن يكون أراد: اجعلوا بيوتكم قبلا، فاكتفى بالواحد عن الجمع، كما قال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور
يريد: إنا إخوانكم. ويجوز أن يكون وحد «قبلة» لانه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالا على الله، وقصدا لما كنتم تستعملونه في المساجد. ويجوز أن يكون وحدها، والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئا قبلة، ومكانا قبلة، ومحلة قبلة.

قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا } قال ابن عباس: أتموا الصلاة. { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } أنت يا محمد. قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا } قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت.

قوله تعالى: { لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ } وفي لام «ليضلوا» أربعة أقوال. أحدها: أنها لام «كي» والمعنى: آتيتهم ذلك كي يضلوا، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها لام العاقبة والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال، ومثله قوله: { لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَخَرْنَا } [بالقصاص 8] أي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدوا، لا أنهم قصدوا ذلك، وهذا كما تقول للذي كسب مالا فأداه إلى الهلاك:

إنما كسب فلان لحتفه، وهو لم يكسب المال طلبا للحتف، وأنشدوا:

وللمنايا تربي كل مرضعة وللخراب يجد الناس عمراناً

وقال آخر:

وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن

وقال آخر:

فإن يكن الموت أفناهم فللموت ما تلد الوالده

أراد: عاقبة الأمر ومصيده إلى ذلك، هذا قول الزجاج.
والثالث: أنها لام الدعاء، والمعنى: ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك، ذكره ابن الأنباري.

والرابع: أنها لام أجل، فالمعنى: آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك، لهم ومثله قوله: { سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ } [التوبة 95] أي: لأجل إعراضكم، حكاه بعض المفسرين. وقرأ أهل الكوفة إلا المفضل، وزيد، وأبو حاتم عن يعقوب «ليضلوا» بضم الياء، أي ليضلوا غيرهم.

قوله تعالى: { رَبَّنَا طِمَسْ } روى الحلبي عن عبد الوارث: «اطمس» بضم الميم، { عَلَى أَمْوَالِهِمْ } وفيه قولان.

أحدهما: أنها جعلت حجارة، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والفراء. وقال القرظي: جعل سكرهم حجارة. وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودارهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة. وقال مجاهد: مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع. وقال الزجاج: تطميس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها.

والثاني: أنها هلكت، فالمعنى: أهلك أموالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، ومنه يقال: طمست عينه، أي: ذهب، وطمس الطريق: إذا عفا ودرس.

وفي قوله: { وَ تَنبُذُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } أربعة أقوال.

أحدها: اطبع عليها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء، والزجاج.

والثاني: أهلكهم كفاراً، رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الضحاك.

والثالث: أشدد عليها بالضلالة، قاله مجاهد.

والرابع: أن معناه قس قلوبهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: { فَلَا يُؤْمِنُوا } فيه قولان.
أحدهما: أنه دعاء عليهم أيضا، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، قاله الفراء،
وأبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: معناه: فلا آمنوا، قال الأعشى:
فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

معناه: لا أنبسط، ولا لقيتني.
والثاني: أنه عطف على قوله: { لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ }، فالمعنى: أنك آتيتهم
ليضلوا فلا يؤمنوا، حكاة الزجاج عن المبرد.
قوله تعالى: { حَتَّى يَرَوْا لِعَذَابِ آلِيمٍ } قال ابن عباس: هو الغرق، وكان
موسى يدعو، وهارون يؤمن، فقال الله تعالى: { قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتِكُمْ }، وكان
بين الدعاء والإجابة أربعون سنة.
فإن قيل: كيف قال: { دَعْوَتِكُمْ } وهما دعوتان؟ فعنه ثلاثة أجوبة.
أحدها: أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دعوات وكلام يطول كما بينا في
{ الْأَعْرَافِ } أن الكلمة تقع على كلمات، قال الشاعر:
وكان دعا دعوة قومه هلم إلى أمركم قد صرم

فأوقع «دعوة» على ألفاظ بينها آخر بيته.
والثاني: أن يكون المعنى: قد أجيبت دعواتكم، فاكتفى بالواحد من ذكر
الجميع، ذكر الجوابين ابن الأنباري. وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ
«دعواتكم» بالألف وفتح العين.
والثالث: أن موسى هو الذي دعا، فالدعوة له، غير أنه لما آمن هارون، أشرك
بينهما في الدعوة، لأن التأمين على الدعوة منها.
وفي قوله: { وَاسْتَقِيمًا } أربعة أقوال.
أحدها: فاستقيما على الرسالة وما أمرتكم به، قاله أبو صالح عن ابن عباس.
والثاني: فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعة الله قاله ابن جرير.
والثالث: فاستقيما في دعائكم على فرعون وقومه.
والرابع: فاستقيما على ديني، ذكرهما أبو سليمان الدمشقي.
قوله تعالى: { وَلَا تَتَّبِعَانَّ } قرأ الأكثرون بتشديد تاء «تتبعان». وقرأ ابن عامر
بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون «تتبعان» إلا أن النون الشديدة دخلت
للنهي مؤكدة، وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها، واختير لها الكسر
لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين. قال أبو علي: ومن خفض النون أمكن
أن يكون خفف النون الثقيلة، فإن شئت كان على لفظ الخبر، والمعنى الأمر،

كقوله: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ} [البقرة 228 و 234] {لَا تُصَارَّ وِلْدَهُ} [البقرة 233] أي لا ينبغي ذلك، وإن شئت جعلته حالا من قوله: {وَ سَلِّمًا} تقديره: استقيما غير متبعين. وفي المراد بسبيل الذين لا يعلمون قولان. أحدهما: أنهم فرعون وقومه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف جاز أن يدعو موسى على قومه؟ فالجواب: أن بعضهم يقول: كان ذلك بوحى، وهو قول صحيح، لأنه لا يظن بنبي أن يقدم على مثل ذلك إلا عن إذن من الله عز وجل، لأن دعاءه سبب للانتقام. قوله تعالى: {فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ} قال أبو عبيدة: أتبعهم وتبعهم سواء. وقال ابن قتيبة: أتبعهم: لحقهم. {بَغْيًا وَعَدْوًا} أي: ظلما. وقرأ الحسن {فَاتَّبَعَهُمْ} بالتشديد، وكذلك شددوا {وَعَدْوًا} مع ضم العين. قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ} قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «أنه» بفتح الألف، والمعنى: أمنت بأنه، فلما حذف حرف الجر، وصل الفعل إلى «أن» فنصب. وقرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمّر، كأنه قال: أمنت، فقلت: إنه. قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب. قال ابن الأنباري: جنح فرعون إلى التوبة حين أغلق بابها لحضور الموت ومعاناة الملائكة، فقيل له: {الآن} أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عز وجل؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل. وجاء في الحديث أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون خشية أن يغفر له. قال الضحاك ابن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه السلام كان عبدا صالحا، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال الله: {يُبْعَثُونَ} [الصافات 143] وإن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق قال: أمنت، فقال الله: {ءالتنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ}.

قوله تعالى: {وَ لِيَوْمَ نُنَجِّكَ} وقرأ يعقوب «ننجيك» مخففة. قال اللغويون، منهم يونس وأبو عبيدة، نلقيك على نجوة من الأرض، أي ارتفاع، ليصير علما أنه قد غرق. وقرأ ابن السميع «ننجيك» بحاء. وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة اقوال.

أحدها: أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي من المدائن من قوم فرعونك: ما أغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر،

فأوحى الله إلى البحر أن اللفظ فرعون عريانا، فكانت نجاة عبدة، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن اللفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقا فصار لا يقبل غريقا إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفا عليهم الحديد، فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به. وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كذب بعض بني إسرائيل بغرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل قصيرا أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إسرائيل بدرع كان له من لؤلؤ لم يكن لأحد مثلها. فأما وجهه فقد غيره سخط الله تعالى.

والثالث: أنه كان يدعي أنه رب، وكان يعبده قوم، فبين الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجه من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: {بِئَدْنِكَ} أربعة أقوال.

أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح. والثاني: بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعرف بدرعه.

والثالث: نلقيك عريانا، قاله الزجاج.

والرابع: ننجيك وحدك، قاله ابن قتيبة.

وفي قوله: {لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً} ثلاثة أقوال.

أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقالتك، فإنك لو كنت إليها ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة.

والثاني: لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي.

والثالث: لمن تخلف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان.

أحدهما: عبدة للناس.

والثاني: علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدعي أنه رب، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء {لِمَنْ خَلَقَ} بالقاف.

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا خْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ لِكِتَابِكَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ *} إِنَّ لِدِينِي حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {

قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي: أنزلناهم منزل صدق، أي منزلا كريما. وفي المراد ببني إسرائيل قولان. أحدهما: أصحاب موسى.

والثاني: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال. أحدها: أنه الأردن، وفلسطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الشام، وبيت المقدس، قاله الضحاك وقتادة. والثالث مصر، روي عن الضحاك أيضا. والرابع: بيت المقدس، قاله مقاتل.

والخامس: ما بين المدينة والشام من أرض يثرب، ذكره علي بن أحمد النيسابوري، والمراد بالطيبات: ما أحل لهم من الخيرات الطيبة. {فَمَا خْتَلَفُوا} يعني بني إسرائيل. قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدقين، {حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} يعني: القرآن، وروي عنه: حتى جاءهم العلم، يعني محمدا. فعلى هذا يكون العلم هاهنا: عبارة عن المعلوم. وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلفوا في تصديقه، وكفر به أكثرهم بغيا وحسدا بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهور.

قوله تعالى: {فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ} في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال. أحدها: أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من الشاكين، بدليل قوله في آخر السورة: {إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي} [يونس 105] ومثله قوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب 2] ثم قال: {بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الأحزاب 3] ولم يقل:

بما تعمل، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو المراد به ثم في المعنى قولان.

أحدهما: أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك، لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده: إن كنت أبني فبرني، ولعبده: إن كنت عبدي

فأطعني، وهذا اختيار الفراء. وقال ابن عباس: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك، ولا سأل.
والثاني: أن تكون «إن» بمعنى «ما» فالمعنى: ما كنت في شك {فَأَسْأَلُ}،
المعنى: لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شك، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره
الزجاج.

والثالث: أن الخطاب للشاكين، فالمعنى: إن كنت أيها الإنسان في شك مما
أنزل إليك على لسان محمد، فسل، روي عن ابن قتيبة.
وفي الذي أنزل إليه قولان.

أحدهما: أنه أنزل إليه أنه رسول الله.
والثاني: أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.
قوله تعالى: {فَأَسْأَلُ الَّذِينَ * مِنْ قَبْلِكَ} وهم اليهود والنصارى. وفي الذين
أمر بسؤالهم منهم قولان.

أحدهما: من آمن، كعبد الله بن سلام، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين.
والثاني: أهل الصدق منهم، قاله الضحاك، وهو يرجع إلى الأول، لأنه لا يصدق
إلا من آمن.

قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكَ لِحَقُّكَ مِنْ رَبِّكَ} هذا كلام مستأنف.
قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ} أي: وجبت {عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ} أي: قوله.
وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال.
أحدها: باللعنة.

والثاني: بنزول العذاب.
والثالث: بالسخط.
والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: {وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ} قال الأخفش: إنما أنت فعل «كل» لأنه
أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي لِحْيَوَةِ الدُّبْيَا وَمَنْعَنَاهُمْ إِلَى جِينِ}

قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ} أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان.
أحدهما: أنه بمعنى: لم تكن قرية آمنت {فَتَنَعَهَا إِيمَانُهَا} أي: قبل منها {إِلَّا
قَوْمَ يُونُسَ}، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول
العذاب، إلا لقوم يونس.

والثاني: أنها بمعنى: فهلا، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج:
والمعنى: فهلا كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و«إلا»

هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قوم يونس. قال الفراء: نصب القوم على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها؟ تقول: ما قام أحد إلا أخوك، فإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلبا أو حمارا، نصبت لانقطاعهم من الجنس، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعا. وذكر ابن الأنباري في قوله: «إلا» قولين آخرين.

أحدهما: أنها بمعنى الواو، والمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا وهذا مروى عن أبي عبيدة، والفراء ينكره.

والثاني: أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه، تقديره: حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع.

قوله تعالى: { كَشَفْنَا عَنْهُمْ } أي صرفنا عنهم { عَذَابَ } { الْخِزْيِ } أي: عذاب الهوان والذل { وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } أي: إلى حين آجالهم. الإشارة إلى شرح قصتهم.

ذكر أهل العلم بالسيرة والتفسير أن قوم يونس كانوا ب نينوى من أرض الموصل، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام فأبوا، فأخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث، فلما تغشاهم العذاب، قال ابن عباس، وأنس: لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل، وقال مقاتل. قدر ميل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حر العذاب على أكتافهم، وقال سعيد بن جبيرة: غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر، وقال بعضهم: غامت السماء غيما أسود يظهر دخانا شديدا، فغشي مدينتهم واسودت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح. وحثوا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام، وعجوا إلى الله بالتوبة الصادقة، وقالوا أمنا: بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم بينهم، حتى أن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه، فيرده. وقال أبو الجلد: لما غشيهم العذاب، مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حي حين لا حي، يا حي محيي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت، فقالواها: فكشف العذاب عنهم. قال مقاتل: عجوا إلى الله أربعين ليلة، فكشف العذاب عنهم. وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة. قال: وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم، فقيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذبا؟ وكان من يكذب بينهم ولا بينة له يقتل، فانصرف مغاضبا، فالتقمه الحوت. وقال أبو صالح عن ابن عباس: أوحى الله إلى نبي من أنبياء

بني إسرائيل يقال له: شعيا، فقيل له: ائت فلانا الملك، فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبيا قويا. أمينا، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال الملك ليونس: اذهب إليهم، فقال: ابعث غيري، فعزم عليه أن يذهب، فأتى بحر الروم، فركب سفينة، فالتقمه الحوت، فلما خرج من بطنها أمر ينطلق إلى قومه، فانطلق نذيرا لهم، فأبوا عليه، فوعدهم بالعذاب، وخرج، فلما تابوا رفع عنهم. والقول الأول أثبت عند العلماء، وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم. وسيأتي شرح قصته في التقام الحوت إياه في مكانه إنشاء الله تعالى [الصفات: 143]

فإن قيل: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يكشف عن فرعون حين آمن؟

فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أن ذلك كان خاصا لهم كما ذكرنا في أول الآية.

والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشروهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة، له ذكره الزجاج.

والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف من تقدمهم من

الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ لِلنَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ} قال ابن عباس: كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمان جميع الناس، فأخبره الله

تعالى أنه لا يؤمن إلى من سبقت له السعادة. قال الأخفش: جاء بقوله:

«جميعا» مع «كل» تأكيدا كقوله: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ أُتَيْنِ }

[النحل: 51]

قوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ لِلنَّاسِ} قال المفسرون، منهم مقاتل: هذا منسوخ

بآية السيف، والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ، لأن الإكراه على الإيمان لا يصح،

لأنه عمل القلب.

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ }

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} فيه ستة أقوال.

أحدها: بقضاء الله وقدره.

والثاني: بأمر الله، روي عن ابن عباس.

والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء.
الرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل.

والخامس: بعلم الله.

والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: { وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ } أي: ويجعل الله الرجس. وروى أبو بكر عن عاصم «ونجعل» الرجس بالنون. وفيه خمسة أقوال.

أحدها: أنه السخط، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: الإثم والعدوان، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه ما لا خير، فيه قاله مجاهد.

والرابع: العذاب قاله الحسن، وأبو عبيدة، والزجاج.

والخامس: العذاب والغضب، قاله الفراء.

قوله تعالى: { عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.

وقيل: لا يعقلون حجه ودلائل توحيده.

{ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا

يُؤْمِنُونَ }

قوله تعالى: { قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } قال المفسرون: قل

للمشركين الذي يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا

في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته

كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقا مدبرا.

{ اللَّهُ }.

{ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ وَآتِنَّا نَجِيًّا } أي: معكم
مَنْ لِمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِيًّا لِمُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ } قال ابن عباس: يعني كفار قريش { إِلَّا مِثْلَ

أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ } قال ابن الأنباري: أي: مثل وقائع الله بمن سلف

قبلهم، والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب، وقد قصد بها أيام السرور

والأفراح إذا قام دليل بذلك.

قوله تعالى: { قُلْ وَآتِنَّا نَجِيًّا } هلاكي { إِيَّاكُمْ مِّنْ لِّمُنْتَظِرِينَ } لنزول

العذاب بكم. { ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } من العذاب إذا نزل، فلم يهلك

قوم قط إلا نجا نبهم والذين آمنوا معه.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِيًّا لِمُؤْمِنِينَ } وقرأ يعقوب، وحفص،

والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر: «نجا المؤمنين» بالتخفيف. ثم في

هذا الإنجاء قولان.

أحدهما: ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذبين، قاله الربيع بن أنس.
والثاني: ننجيهم في الآخرة من النار، قاله مقاتل.
{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ }
قوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ } قال ابن عباس: يعني أهل مكة { إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي } الإسلام { فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } وهي الأصنام { وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي } يقدر أن يميّتكم. وقال ابن جرير: معنى الآية: لا ينبغي لكم أن تشكوا في ديني، لأنني أعبد الله الذي يميّت وينفع ويضر، ولا تستنكر عبادة من يفعل هذا، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا وتنكروا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.
فإن قيل: لم قال: { الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ } ولم يقل «الذي خلقكم» فالجواب: أن هذا يتضمن تهديدهم، لأن ميّعاد عذابهم الوفاة.
قوله تعالى: { وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ } المعنى: وأمرت أن أقم وجهك، وفيه قولان. أحدها: أخلص عملك.
والثاني: استقم باقبالك على ما أمرت به بوجهك.
وفي المراد بالحنيف ثلاثة أقوال.
أحدهما: أنه المتبع، قاله مجاهد.
والثاني: المخلص، قاله عطاء.
والثالث: المستقيم، قاله القرظي.
قوله تعالى: { يَنْفَعُكَ } { وَإِن دَعْوَتَهُ } { وَلَا يَضُرُّكَ } إن تركت عبادته. و«الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.
{ وَإِن يَمَسُّنَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ لِحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ هَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَبَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَابْعَثْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَطَبَّرَ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }
قوله تعالى: { وَإِن يَمَسُّنَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ } أي: بشدة وبلاء { فَلَا كَاشِفَ } لذلك { إِلَّا هُوَ } دون ما يعبد المشركون من الأصنام. وإن يصيبك بخير، أي برحاء ونعمة وعافية، فلا يقدر أحد أن يمنعك إياه. { يُصِيبُ بِهِ } أي: بكل واحد من الضر والخير.

قوله تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ لِحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ } فيه قولان.
أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: محمد صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى: { وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ } أي: فإنما يكون وبال ضلاله على نفسه.

قوله تعالى: { وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } أي في منعكم من اعتقاد الباطل،
والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك.
قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضا، وهي قوله:
{ وَ طَبَّرَ حَتَّىٰ يَحْكَمَ اللَّهُ } لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزية على
أهل الكتاب، والصحيح: أنه ليس ها هنا نسخ أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام
عليها في نظيرتها في { أَلَا نَعْمَ } وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة
{ البقرة: 109 } قوله { وَ طَفَّحُوا وَ طَفَّحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ }